استراتيجية التواصل التربوي التعليمي

د. سمية حطري

– المركز الجامعي - عين تموشنت

التواصل التربوي، هو نوع من التواصل الاجتماعي الذي ينتج عن علاقات الأفراد بعضهم البعض في الحياة اليومية سواء الأسرية والعائلية الممتدة أو العلمية والعملية ضمن العلاقات العامة.

فمن الطبيعي قبل أن نتطرق لموضوع التواصل التربوي لابد من العودة إلى ماهية التواصل ومكوناته وأهدافه كما ينبغي ذكر أهم رواد الفكر التواصلي الثلاثة وهم مؤسسي مدرسة شكاغو الشهيرة (شارل كولي هربرت ميد وجون ديوي)مدرسة أكدت على بلورة مقاربة عامة للنظرة الاجتماعية ودور التواصل فيها من حيث التفاعل الاجتماعي والعلاقات الشخصية عن طريق الصحافة والمراسلات وتصويره كسيرورة رمزية تبنى الثقافة من خلاله حتى أصبح التواصل في مجالات الفن والهندسة والقواعد والمعايير والطقوس وحتى في مجال السياسة.[1]

يرتبط اسم شارل هورتون كولي بالتفاعلية الرمزية حيث ساهمت نظرته التواصلية في تغيير مستوى العقلية بالنسبة لجماهير وسائل الاتصال المختلفة حيث يقول (أن تواصل الجماهير الجديد قد شكل ثورة في جميع مراحل الحياة في التجارة والسياسة والتربية).[2]

بالنسبة لجورجميد فيحتل الصدارة والامتياز عند علم النفس الاجتماعي في قضية التواصل وانعكاسية الفعل التواصلي، لأن الباحث يهتم بقدرة الفرد على محاورة ذاتهتبعا لوجهة نظر الآخرين. هنا يصبح التواصل إبداعيا إنتاجيا ويعد الفكر اجتماعيا أساسيا. أما جون ديوي فيتبنى موقفا ينادي بإرساء نظام تواصل جماهيري، يتأسس على اتفاق بالإجماع.

من هنا يتبين أن كل من كولي، ميد، وجون ديوي، يؤكدون على أن التواصل هو تفاعل اجتماعي يبدأ بالفرد ومحاورته لذاته من خلال نظرة الآخر إليه فيحاول دائما أن ينتج ويقدم الأحسن وإن أخطأ يصحح أخطائه نحو الأفضل، فيصبح التواصل القائم بين أفراد المجتمع مبنيا على علاقات مستمرة.

أضحى التواصل علما قائما في مختلف المؤسسات داخل المجتمع، يرتكز على استراتيجيات فعالة من خطط ومهارات للولوج إلى الأهداف المبتغاة.

فما الاستراتيجية؟ وما دورها في العملية التعليمية؟ هل هي الخطة؟أو التخطيط والعمليات؟بأنها (فن التخطيط والتنسيق ضمن مجموعة من العمليات من أجل devillers، يعرفها strategieكلمة استراتيجية تحقيق هدف معين). [3]

فإذا كانت إستراتيجية التواصل هي التخطيط السليم المستمر والمتنوع بغية الوصول إلى هدف تربوي معين، فما هي استراتيجيات التعليم؟

استراتيجيات التعلم Stratégie d'apprentissage :

حسب رأي كريستيان دوقاش (ترجع الاستراتيجيات إلى كل نوع من العمليات والاستعدادات والمخططات والعادات التي يستخدمها المتعلم ليصل بسهولة إلى تحصيل وتخزين واسترجاع واستخدام المعلومات). [4]

من خلال التعريفين يتضح لنا بأن الاستراتيجيات هي خطط وأهداف يضعها كل من المعلم والمتعلم من أجل التحصيل الجيد والفهم والاستيعاب ثم التطبيق والبناء.

تعرف بالمهارات الدراسية، وأساليب Stratégies d'apprentissageأما في علم النفس التربوي، فاستراتيجيات التعلم أو طرقه ومهارات التعلم والاستذكار.

Snomane- أهم هذه المصطلحات ما ذكره سنومان: ❖تعلم كيفية التعلم❖معرفة كيف نتعلم❖استراتيجيات التوضيح❖مهارات الاستذكار[5].

يتضح لنا من خلال هذه التعريفات، أن التعلم عملية تواصلية تتم عبر استراتيجيات معينة منها الإيضاح والاستذكار بغية الوصول إلى الأهداف المنشودة.

تعتمد استراتيجيات التعليم على مبادئ تربوية ونفسية، وهي هدف من أهداف الأنشطة التعليمية، تمشي وفق خطط محكمة ودقيقة. كما تتعدد من استراتيجيات لتنظيم تعلم موضوعات معينة، كالمفاهيم، والاتجاهات والقيم، والمهارات، وحل المشكلات، والإبداع. إلى استراتيجيات تعلم أخرى مثل إستراتيجية التعلم المتقن، وإستراتيجية التعلم بالأدوار التربوية واستراتيجية التعلم بالمشاريع والأبحاث والتقارير، واستراتيجيات التعليم بالخطوات. [6]

من الواضح أنه لا يجوز لنا أن نتعامل مع الأنشطة التعليمية، والأنشطة التعلمية كأنشطة منفردة، بل أنشطة تعليمية متجمعة مع بعضها مشكلة خطوات في طرق التعليم، أو أساليب التعليم، أو أنماط التعليم أو استراتيجيات التعليم. [7]

كما ترتكز استراتيجيات التواصل على قيم مرجعية صريحة، ورؤية لتطوير المؤسسة التدريجي عن طريق تواصل حقيقي له أهدافه وخططه ومراميه داخل المؤسسة التعليمية، بالتنسيق مع كل أطرافها.[8]

فما الغاية من التواصل التربوي؟ وإلى أي مدى يمتد؟

التواصل التربوي:

أصبح التواصل من الأولويات الضرورية داخل المؤسسات التربوية. لأنه يؤدي إلى الشعور بالانتماء الخاص بالمتعلم والمعلم داخل المؤسسة كمفهوم، والمدرسة كفضاء حقيقي، يعيشون به ويتبادلون مختلف العلاقات المعرفية والاجتماعية. فينبغي فهم أهم المستويات والطرائق التعليمية الصحيحة لتحقيق الأهداف والتوجيهات الصالحة، وبعدها التأسيس لعلاقات مع المحيط الخارجي الاجتماعي والسياسي والثقافي.[9]

التواصل داخل المؤسسة المدرسية:

المؤسسة المدرسية فضاء لتبليغ المعارف، وتجميع لفصول دراسية مرتبطة فيما بينها بممرات، ينبغي أن تكون هندستها المعمارية تقترب من المجمع التربوي(من معلمين ومتعلمين وإداريين وعمالا). - أولا- وبهؤلاء، مع الفضاء المدرسي من(قاعات، وإدارات ونوادي وساحات). حتى تصل إلى ما يسمى بالجودة التربوية.[10]

إضافة إلى التظاهرات العلمية وعمليات التكوين المستمرة وتنشيط وتفعيل دور المجالس العلمية والإدارية، وتنويع اللقاءات العلمية التي تنمي التواصل داخل المؤسسة التعليمية وخارجها.

تتعدد النظريات الخاصة بالتربية والتعليم، وبكل نظرية استراتيجيات وخطى متنوعة تصل إلى أهداف تساهم في إنجاح عملية التعلم والتعليم حسب ما يعيشه ويهدف إليه المحيط المدرسي والمحيط الاجتماعي. وارتأينا أن نختار مفهوما لأحد رواد الفكر الاجتماعي والتربوي، وهو العلامة عبد الرحمن بن خلدون، الذي نرى عنده استراتيجيات نافعة وبناءة لعملية التعليم والتعلم.

لكن قبل الاطلاع على تلك المفاهيم الصائبة، حاولنا الإجابة عن بعض الأسئلة منها:

- ما التربية وما التعليم عند ابن خلدون؟ وما علاقة التواصل بهما؟
- كيف ينتج التواصل؟ وما هي أهم وسائله؟ وما الفائدة منها في عملية التربية والتعليم؟

أسئلة كثيرة تتبادر للأذهان عندما يخوض الباحث في مسألة التعلم والتعليم، فيذكر لنا ابن عمار الصيرفي كتابه التفكير العلمي عند ابن خلدون، أن ابن خلدون يتفق معا لآراء التربوية المعاصرة في موضوع التعليم والتعلم، فيحاول شرحها كالآتي:

1- **التربية**، وهي : (ان كل معرفة جديدة يحصل عليها الفرد، وكل تجربة جديدة يمر بها تؤثر في العقل، ويظهر هذا التأثير في سلوك الفرد إزاء المواقف الجديدة). [11]فيبرز المؤلف رأي ابن خلدون لدور التربية في سلوك الطفل بعد تعرضه لمواقف جديدة في حياته اليومية، خاصة المواقف الصعبة أو المحرجة أو الانفعالات أو تواصله مع المجتمع، فإن كانت التربية سليمة فسيسلم تصرفه، وإلا فلا.

2- **التعليم**: يذكر لنا المؤلف أن التعليم عند ابن خلدون(عملية ديناميكية مستمرة ومتواصلة، وكل معرفة جديدة وكل خبرة جديدة إنما هما درجة في سلم نضج الفكر ورقي العقل). [12]فيتضح لنا أن التعليم لا يتوقف مع لحظة معينة أو معرفة محدودة مقدمة للمتعلم وإنما مع الخبرة والاستمرارية في البحث والجد والحركية في إطار التقويم والتصحيح والتعديل وتقديم الأجود والأفضل.

3- **التربية والتعليم**: مازج ابن خلدون بين التربية والتعليم، فلا غنى للتعليم عن التربية والواحد يكمل الآخر، حتى يعيش الفرد داخل مجتمعه بأحسن وجه. (كل تربية وكل تعليم يهدف إلى غاية عملية هي مساعدة الفرد البشري على أن يحيا حياة طيبة). [13]

وإن مازج ابن خلدون بين التربية والتعليم، فما الذي يجمعهما؟

بالنسبة لابن خلدون وعلماء التربية، القناة التي تجمع بين التربية والتعليم، هي التواصل.

علاقة التواصل بالتربية والتعليم:

يوضح ابن عمار الصغير رأي ابن خلدون، حول التواصل كهدف من أهداف التربية والتعليم قائلا: (وهكذا ينشأ التعليم في المجتمع كنتيجة حتمية لرغبة العقل الإنساني في المعرفة والانكباب في البحث لإيجاد الوسائل الموصلة إلى الحصول على تلك المعرفة واتقانها). [14]

القصد من الوسائل الموصلة هي تلك الخبرات والمعارف وهي وليدة التعامل والتأثير المتبادل سواء مع المجتمع أو مع الطبيعة، منبعها الأول هو العقل.

- **المجتمع**: فهو تواصل قائم بين المتعلم وأفراد المجتمع، حتى يتزود بالمعارف والمهارات والقدرات.

- **الطبيعة**: وهي تواصل المتعلم الفرد بعناصر الطبيعة المختلفة والتعود عليها وحفظ مسالكها الوعرة الصعبة والسهلة البسيطة قصد البقاء والاستمرارية. هذا التأقلم المزدوج يراه ابن خلدون نوعا من أنواع التفكير أو نوعا من التربية والتحايل.

قناة التواصل بين التربية والتعليم، هي إستراتيجية محكمة لعلاقة الإنسانية بالعلم، وتربية أفراد المجتمع بتعليمهم علاقة تبادل ونتاج مستمر بين المتعلم ومحيطه الاجتماعي. من قيم ومعاملات وأخلاق وتبادل خبرات ومعارف، لاكتساب كفاءات ومهارات.

- **استراتيجية التعليم**: من بين الاستراتيجيات المهمة التي رآها ابن خلدون:

أ/كثرة المسائل تخل بالتعليم: يؤكد ابن خلدون في مقدمته على أن كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها يعيق بالتحصيل العلمي، فيتعب المتعلم من كثرة المسائل والمعارف دون أن يستفيد منها. فيرى(أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته، كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك. حينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثر ها ومراعاة طرقها ولا يبقى عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل). [15]

ب/التعليم التدريجي يكسب المهارات: يوضح لنا العلامة ابن خلدون أن مهارات التعليم الخاصة بالمسألة الواحدة في مختلف الفنون والعلوم تكمن تدريجيا. بحيث ينبغي للمعلم أن يشرح المسألة الواحدة عدة مرات حتى تصل بوضوح إلى المتعلم، قائلا(اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم). [16]

ج/الشدة على المتعلمين مضرة بهم: يحذر ابن خلدون من الشدة على المتعلم بإرهاق الجسد في التعليم فهو مضر به سيما في الصغر. فلنبتعد عن القهر من المتعلمين لأنه يؤدي به إلى ضيق على النفس ويدعو إلى الكسل ويحمل على الكذب والخبث ويعلم التلميذ المكر والخداع، فتنقبض النفس عن إنسانياتها. قائلا: (وذلك أن إرهاف الجسد في التعليم مضر بالمتعلم في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المالك أو الخدم سطا به العمر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعا إلى

الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة..).[17]

أكد العلامة ابن خلدون على التدرج في عملية التعليم بإيصال المعرفة ملكة وتبسيط الفكرة والابتعاد عن الكم والكثرة في تقديم العلوم. وهي استراتيجيات فعالة في عملية التعليم والتعلم تكاثفها استراتيجيات أخرى تتمحور في الاهتمام بأهم عناصر العملية التعليمية: المعلم- المتعلم- طريقة التعليم.

المعلم: يبقى دور المعلم في العملية التواصلية من أهم الركائز التي ينبني عليها التعلم. فإعداده وتكوينه وتزويده بالوسائط التربوية والاجتماعية اللازمة، يدعم عطاءه لتلامذته بهدف دفعهم للنهل من المعارف والخبرات وقدرة الاعتماد على النفس. ومن بين تلك الاستراتيجيات:

- تنمية القدرات العلمية والبيداغوجية للمعلم
- اختيار طرق تعليمية بيداغوجية تساعد على استثمار الوسائل البيداغوجية بشكل جيد قصد إنجاح عملية التواصل.
- مهارة المعلم للتحكم في آلية الخطاب التعليمي
- إمكانية ترقية الخبرة البيداغوجية للمعلم في مجال تقويم المهارات.[18]

المتعلم: لابد من مراعاة الجانب الإنساني لكل متعلم ومنه الاجتماعي والنفسي وقدراته الجسدية والعقلية حتى نتواصل معه بعمق ونجعله قادرا على الأخذ ثم العطاء. مع مراعاة سنه العمري وتقبله للتلقين والتعلم. أما الجوانب النفسية فتتمثل في (المميزات والاحتياجات النفسية بمفهومها العلمي الدقيق إذ أن لكل مرحلة من مراحل العمر مميزاتها ومتطلباتها المتعددة التي تطال سائر ميادين نمو الشخصية الإنسانية من عاطفية وعقلية). فحاجات الطفل النفسية للصغير تختلف عن الطفل في الخامسة وكذا الطفل في العاشرة. لذلك لابد من تسطير أهداف للتعليم:

- العمل من أجل أن تتكامل شخصية المتعلم واستجابته للعملية التعليمية.
- مراعاة الفوارق الفردية سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو عضوية.
- مواجهة الصعوبات والعراقيل الخاصة بالسمع والبصر.[19]

طريقة التعليم: مجال التعليم، مجال تطبيقي يتوقف على مدى عطاء المعلم وشرحه لبعض المفاهيم والنظريات ثم كيفية تطبيقها وتحليلها حسب خصوصياتها كمادة يقدمها

للمتعلم ثم مراعاة الفروق الفردية بين متعلم وآخر من خصائص ومميزات وعوائق واختلافات في الميول والاستعدادات والمهارات وقدرات جسمية وفكرية وحتى نفسية.

ينبغي أن يتعدى دور المعلم، التعليم والتلقين إلى التواصل والتكوين، من ذلك:

- القيام بندوات تكوينية قصد تطويرا لخبرة البيداغوجية - تطوير طرق تعليم اللغة لك بالبحث المتواصل
- الإفادة من النتائج والخبرات المتوافرة في ميدان التعليمية بعامة. - تقويم المهارات والعادات اللغوية المكتوبة.[20]

التواصل التعليمي: توصلت الدراسات النفسية إلى ميلاد علم يسمى بعلم النفس التربوي، الذي أسس إلى بيداغوجية حديثة، تراعي قدرات الطفل الذي لم يعد مجرد طفل صغير عاجز، وإنما أصبح هذا العلم يراعي شخصيته، من ميولات وقدرات. كما أن المدرسة أصبحت متفتحة على العالم الخارجي، أي المحيط الاجتماعي.[21]

من هنا يشكل التواصل التعليمي أو التربوي، أساس العملية التعليمية. فالعلاقة بين المعلم والمتعلم، علاقة تواصلية تفاعلية. كما أن العلاقة بينهما وبين المؤسسة التعليمية والمحيط الخارجي علاقة تواصلية تفاعلية تبادلية فيما يخص الخبرات والمعارف. فهو يشكل(كل أشكال وسيرورة ومظاهر العلاقة التواصلية بين المدارس وتلامذته، إنه يتضمن إرسال اللفظ وغير اللفظ بين مدرس أو ما يقوم مقامه والتلاميذ أو بين التلاميذ أنفسهم، كما يتضمن الوسائل التواصلية والمجال والزمان، وهو يهدف إلى تبادل أو تبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتجارب والمواقف مثلما يهدف إلى التأثير على سلوك المتلقي).[22]

كما يقوم التواصل التعليمي على:

- الأطراف الفاعلة في التعليم.
- المحتويات التي تقوم في التعليم.
- الوسائل الموظفة في التعليم.
- الكيفية التي ينجز بها التعليم - النتائج المرجوة(التقييم).

يبقى التواصل التعليمي داخل المؤسسات التربوية التعليمية، قائما على استراتيجيات تواصل توحدها شبكة من العلاقات، تربط بين المؤسسة التعليمية والمحيط الخارجي. وهي (المعلم، المتعلم، طرق التعليم، المؤسسة التعليمية، المحيط الاجتماعي). مع مراعاة شخصية

كل من المعلم والمتعلم من حيث (المهارات، الكفاءات، المعارف، القدرات النفسية، الجسدية والعقلية). وكذا توفير الوسائط التربوية لتساعد على العملية التربوية.

إذا توفرت هذه الاستراتيجيات، سوف تنجح العملية التعليمية، التي تعتمد على الكل، الذي يعني الأخذ والعطاء والتبادل رويدا رويدا عن طريق التدرج. من تقديم المعرفة إلى فهمها عنصرا بعنصر فمحاولة تحليلها وتطبيقها وأخيرا استنباط النتائج المرجوة. من بعد ذلك سيتخطى التواصل أبواب المدرسة، إلى فضاء أبعد وهو المحيط الاجتماعي بل والإنساني العالمي الذي يجمع بين كل الأطراف التي تشارك في عملية التعليم.

الاحالات:

1- عبد الكريم غريب، التواصل والتنشيط، الأساليب والتقنيات، ط2008/7 منشورات عالم التربية، ص07.

2- المرجع نفسه، ص08، نقلا عن: Charles hortoncooley، social organisation، 1909، p65.

3-Paulcyr Claude Germain ،les stratégies d'apprentissage didactique des langues étrangères. collection dirigée par robert galion CELinternational1998p04

4-Christian Degach ،la notion de stratégie dans l'espace interdidactique des langues dans l'espace francophone6 ،eme colloque ACEDLEnovembre1999.

5- نجيب الفونس حزام وصالحة عبد الله عيان، استراتيجيات التعلم والاستذكار لدى الطلبة الجامعيين، دراسات اللوم الإنسانية، الجامعة لأردنية، مجلد21، ع5، الأردن 1994، ص363.

6- الحيلة، محمد ومرعي توفيق، أثر التعليم بالخطوات في تحصيل الطلبة مقارنة بالطريقة التقليدية، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، 1999، ع2، ص53.

7- توفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة، مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ط8، 2010، ص87.

8- عبد الكريم غريب، التواصل والتنشيط، ص277.

9- المرجع نفسه، ص195.

10- نفسه، 199.

11- ابن عمار الصغير، التفكير العلمي عند ابن خلدون، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص114.
12- المرجع نفسه، ص114.
13- نفسه، ص115.
14- نفسه، الصفحة نفسها.
15- العلامة عبد الرحمن بت خلدون، مقدمة ابن خلدون، لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ذوي السلطان الأكبر، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، القاهرة، ص399.
16- المرجع نفسه، ص401.
17- انظر المرجع نفسه، ص406.
18- مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط1، 1989، ص23.
19- أنطوان صياح، دراسات في اللغة العربية الفصحى وطرائق تعليمها، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص181.
20- أحمد حساني، دراسات لسانية تطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ص41.
21-Paulcyr Claude Germain ،les stratégies d'apprentissage didactique des langues étrangéres. collection diriqée par robert galison CELinternational1998p13.
22- عبد اللطيف الفرابي وآخرون، معجم علوم التربية، مصطلح البيداغوجية والديداكتيك، سلسلة علوم التربية، الرباط، المغرب، ص94.